

المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين.

تَمَّاكَ بِنَحِّ مَسَكٍ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾.

البخ أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار، وتلك أقصى حد الذابح ولعل للإسفاق يعني: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ لثلا يؤمنوا ولامتناع إيمانهم، أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة رضي الله عنه ﴿بخاع﴾ نفسك على الإضافة.

إِنْ تَأْتَى نَزْلًا عَلَيْهِمْ مِنْ آتِيَاءٍ فَاتَّخِذْ لَهُمْ مَا خَصَّيْنِ ﴿٤﴾.

أراد آية ملجئة إلى الإيمان قاصرة عليه ﴿فظلت﴾ معطوف على الجزء الذي هو ﴿ينزل﴾ لأنه لو قيل: أنزلنا لكان صحيحاً ونظيره فأصدق وأكن كأنه قيل: أصدق، وقد قرئ لو شئنا لأنزلنا وقرئ فظلت أعناقهم.

فإن قلت: كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق؟ قلت: أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأتحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله كقوله: ذهب أهل اليمامة كان الأهل غير منكور أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقاء قيل: خاضعين كقوله تعالى: ﴿لبي ساجدين﴾<sup>(2)</sup> وقيل: أعناق الناس رؤسؤهم ومقدمهم شبهوا بالأعناق كما قيل لهم: هم الرؤس والنواصي والصدور قال: في محفل من نواصي الناس مشهود، وقيل: جماعات الناس يقال: جاءنا عنق من الناس لفوج منهم، وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية قال: ستكون لنا عليهم لدولة فتدل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هو أن بعد عزة.

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُرْسِبِينَ ﴿٥﴾ فَذَرُّوا كَذِبًا وَسَيِّئًا مِمَّا أَنبَأُوا مَا كَانُوا يَوْمَ يَسْتَهزِئُونَ ﴿٦﴾.

أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيراً إلا جدوا إعراضاً عنه وكفراً به.

فإن قلت: كيف خولف بين الألفاظ والغرض واحد وهي الإعراض والتكذيب والاستهزاء! قلت: إنما خولف بينها لاختلاف الأغراض كأنه قيل: حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به، فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لأن من كان قابلاً للحق مقبلاً عليه كان مصدقاً لا محالة ولم يظن به التكذيب، ومن كان مصدقاً به كان موقراً له ﴿فسيأتيهم﴾ وعيد لهم وإنذار بأنهم سيعلمون إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة ﴿ها﴾ الشيء الذي كانوا يستهزؤون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم.

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَاهِيَتَنَا بِهَا مِنْ كُلِّ رَجْعٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾.

نكرهم ووعدهم ما وعدهم لأجل عبادتهم، فأمر رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم القول: بأن الاكتراث لهم عند ربهم إنما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر، ولولا عبادتهم لم يكثر لهم البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئاً يبالي به، والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل: وأي عبء يعبا بكم لولا دعاؤكم يعني: أنكم لا تستاهلون شيئاً من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم: ما عبات به ما اعتدت به من فوارح همومي ومما يكون عباً على كما تقول: ما أكثرت له أي: ما اعتدت به من كوارثي، ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبا بكم ربي: أي وزن يكون لكم عنده، ويجوز أن تكون ما نافية ﴿فقد كذبتم﴾ يقول: إذا أعلمتكم أن حكمي أني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول: الملك لمن استعصى عليه إن من عانتني أن أحسن إلى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل: معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام وقيل: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة.

فإن قلت: إلى من يتوجه هذا الخطاب قلت: إلى الناس على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب، وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل: يكون العذاب لزاماً وعن مجاهد رضي الله عنه هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاماً، وقرئ لزاماً بالفتح بمعنى: اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه مما توعده به لأجل الإبهام وتناول ما لا يكتننه الوصف والله أعلم بالصواب. عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب<sup>(1)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الشعراء مكية

متر ١٠١.

﴿طسم﴾ بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها.

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْغَيْبِ ﴿١﴾.

﴿الكتاب المبين﴾ الظاهر إعجازه وصحة أنه من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا

(2) سورة يوسف، الآية: 4.

(1) ذكره الثعلبي وابن مروي، ونكره الواحدي في التفسير، زيلعي

بالكسرة.

قَوْمٌ فَرَعُونَ آلَا يَنْفَعُونَ ﴿١١﴾

فإن قُلْتُ: بم تعلق قوله: ﴿الآ يتقون﴾! قُلْتُ: هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل إرساله إليهم للإنداز والتسجيل عليهم بالظلم تجديباً لموسى من حالهم التي شغنت في الظلم والعسف، ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله، ويحتمل أن يكون لا يتقون حالاً من الضمير في الظالمين أي: يظلمون غير متقين الله وعقابه، فأنحلت همزة الإنكار على الحال وأما من قرأ الآ تتقون على الخطاب، فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جنائية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر، فإذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباحة صاحبه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له: ألم تتق الله ألم تستح من الناس.

فإن قُلْتُ: فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام في وقت المناجاة، والملفت إليهم غيب لا يشعرون! قُلْتُ: إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم، وإلقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً لها واعتباراً بموردها، وفي الآ يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى: ألا يا ناس اتقون كقوله: ألا يا أسجدوا.

قَالَ رَبِّ إِنَّ أَعْمَى أَن يُكْذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْلُغُنِي لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ﴿١٣﴾

﴿ويضييق﴾ و﴿ينطلق﴾ بالرفع لأنهما معطوفان على خبر أن وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في المعنى: أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل خوف التكنيب، وضييق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة.

فإن قُلْتُ: في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف إنما هي غم يلحق الإنسان لأمر سيقع وذلك كان واقعاً فكيف جاز تعليق الخوف به؟ قُلْتُ: قد علق الخوف بتكنيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر، والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل: بقيت منها بقية يسيرة.

فإن قُلْتُ: اعتذارك هذا يرده الرفع لأن المعنى: إني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان؟ قُلْتُ: يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها، ويجوز أن يريد القدر

وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال: وجه كريم إذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال: حتى يشق الصفوف من كرمه أي: من كونه مرضياً في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

﴿إن في﴾ إنبات تلك الأصناف ﴿لآية﴾ على أن منبتها قادر على إحياء الموتى، وقد علم الله أن ﴿أكثرهم﴾ مطبوع على قلوبهم غير مرجو إيمانهم.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْفَرَمَ الْفَارِسِيِّينَ ﴿١٠﴾

﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ في انتقامه من الكفرة ﴿الرحيم﴾ لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

فإن قُلْتُ: ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل: كم أنبتا فيها من زوج كريم؟ قُلْتُ: قد دل كل على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة<sup>(١)</sup> فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته.

فإن قُلْتُ: فما معنى وصف الزوج بالكريم؟ قُلْتُ: يحتمل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع، وضار فنكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخصي نكر الضار والثاني أن يعم جميع النبات ناعفه وضاره ويصفهما جميعاً بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلاً إلا لغرض صحيح ولحكمة بالغة، وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفتها العاقلون.

فإن قُلْتُ: فحين نكر الأزواج ودل عليها بكلمتي الكثرة والإحاطة وكانت بحيث لا يحصيها إلا عالم الغيث كيف قال إن في تلك لآية؟ وهلا قال آيات! قُلْتُ: فيه وجهان أن يكون ذلك مشاراً به إلى مصدر أنبتنا فكانه قال: إن في الإنبات لآية أو آية وأن يراد أن في كل واحد من تلك الأزواج لآية، وقد سبقنا لهذا الوجه نظائر سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين، ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون، وكانها عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد إن شاء نذكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر، وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم قرئ الآ يتقون بكسر النون بمعنى: الآ يتقونني، فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء

(١) قال أحمد: فعلى مقتضى ذلك يكون المقصود بالتكثير الأنواع، والظاهر أن المقصود آحاد الأزواج والانعام، ويدل عليه أنه لو أسقطت كل، فنقلت: انظروا إلى الأرض كم أنبت الله فيها من=

الصنف الفلاني، لكنني مكنياً عن آحاد تلك الصنف المشار إليه، فإذا أنحلت كلا فقد أنبت بتكريره آحاد كل صنف، لا آحاد صنف معين، والله أعلم.

حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فأظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه، ويجوز أن يكونا خبيرين لأن أو يكون مستمعون مستقرًا ومعكم لغواً.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسامع! **قُلْتُمْ:** ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لأن الاستماع جار مجرى الإصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾<sup>(3)</sup> ويقال: استمع إلى حديثه وسمع حديثه أي: أصغى إليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله ﷺ: من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صبَّ في آذنيه البرم<sup>(4)</sup>.

فَأَيًّا فَرَعَوْتَ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْمَلَكَيْنِ ﴿١٦﴾.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله: إنا رسولا ربك! **قُلْتُمْ:** الرسول يكون بمعنى: المرسل وبمعنى: الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى: الرسالة فجاز التسوية فيه إذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل بالصفة بالمصادر نحو صوم وذود قال:

الكنى إليها وخير الرسو ل أعلمهم بنواحي الخير  
فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى: الرسالة  
قوله:

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم بسرو ولا أرسلتهم برسول  
ويجوز أن يوحد لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على  
شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان حكمًا واحدًا  
فكانهما رسول واحد أو أريد أن كل واحد منا.

أَنْ أُرْسِلَ مَعَا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾.

**﴿إِنْ أُرْسِلْ﴾** بمعنى أي: أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال، وتقول: أرسلت إليك أن أفعلك كذا لما في الإرسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة، ونحو ذلك ومعنى هذا الإرسال التخليية والإطلاق كقولك: أرسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب: إن ههنا إنسانًا يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال: اثنان له لعلنا نضحك منه فأتيا إليه الرسالة فعرف موسى.

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِتْنًا وَرَبَّادًا وَكَيْفَتَ فِتْنًا مِنْ عُرْكٍ سَيْنَ ﴿١٨﴾.

فقال له: **﴿الم نربك﴾** حنف فأتيا فرعون فقولا له ذلك لأنه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن أبي عمرو **﴿من عمرك﴾** بسكون الميم **﴿سنين﴾** قيل: مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل: وكز القبطي وهو ابن ثنتي

اليسير الذي بقي به، ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين أوتوا سلطة الألسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة، فأراد أن يقرن به ويدل عليه قوله تعالى: **﴿وأخي هرون هو أقصح مني لسانًا﴾**<sup>(1)</sup> ومعنى **﴿فارسل إلى هرون﴾**: أرسل إليه جبرائيل وأجعله نبيًا وأزرنى به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضوع وقد أحسن في الاختصار حيث قال: **﴿فارسل إلى هرون فجاء بما يتضمن معنى: الاستنبأ ومثله في تقصير الطويلة والحسن قوله تعالى: ﴿فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدعناهم تديمرًا﴾**<sup>(2)</sup> حيث اقتصر على نكر طرفي القصة أولها وآخرها وهما الإنذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها، وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله إزام الحجة عليهم، فبعث إليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله بأمر، فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعقل وقد علم أن الله من ورثه؟ **قُلْتُمْ:** قد امتثل وتقبل، ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاونوا على تنفيذ أمره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عنده فيما التمس، ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف في امتثال الأمر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلاً على التقبل لا على التعلل.

وَلَمْ يَكُنْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٩﴾.

أراد بالذنب قتله القبطي وقيل: كان خباز فرعون واسمه: فاتون، يعني: ولهم علي تبعة نذب، وهي قود ذلك القتل، فأخاف أن يقتلوني به فحنف المضاف، أو سمي تبعة الذنب نذبًا كما سمي جزاء السيئة سيئة.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** قد أبيت أن تكون تلك الثلاث عللاً وجعلتها تمهيداً للعذر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة؟ **قُلْتُمْ:** هذه استنفاغ للبلية المتوقعة وفرق من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف يكون تمللاً والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد بالكلاءة والذبح.

قَالَ كَلَّا فَذِهِمُ يَنَابِرَتُنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿٢٠﴾.

جمع الله له الاستجابتين معاً في قوله: **﴿كلا فانهبا﴾** لأنه استدفعه بلاءهم فوعده الذبح بردعه عن الخوف والتمس منه الموازنة بأخيه، فاجابه بقوله: اذهب أي: اذهب أنت والذي طلبته وهو هرون.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** علام عطف قوله: فانهبا! **قُلْتُمْ:** على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل: ارتدع يا موسى عما تظن فانهب أنت وهرون وقوله: **﴿معكم مستمعون﴾** من مجاز الكلام نريد أنا لكما ولعدوكما كالتناصر الظهير لكما عليه إذا

(3) سورة الجن، الآية: 1.

(4) قال الزيلعي: غريب جداً، 473/2.

(1) سورة القصص، الآية: 34.

(2) سورة الفرقان، الآية: 36.

موسى: نعم فعلتها، مجازياً لك تسليماً لقوله لَأَنْ نَعْتَمَهُ كَانَتْ عِنْدَهُ جَدِيدَةً بَانَ تَجَازَى بِنَحْوِ ذَلِكَ الْجَزَاءِ.

فَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رِجْ حُكَاً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَيْ أَنْ عَدَّتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٢﴾

فَإِنْ قُلْتَ: لم جمع الضمير في ﴿مِنْكُمْ﴾ و﴿خِفْتُمْ﴾ مع أفراده في ﴿تَمُنَّا﴾ و﴿عَبَدتْ﴾ اُقْتُتْ: الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه، ومن ملئه المؤتمرين بقتله بلبيل قوله: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَمَرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ وَأَمَّا الْإِمْتِنَانُ فَمِنْ وَحْدِهِ وَكَذَلِكَ التَّعْبِيدُ.

فَإِنْ قُلْتَ: تلك إشارة إلى ماذا و﴿إِنْ عَبَدتْ﴾ ما محلها من الإعراب؟ قُلْتُ: تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة لا يدري ما هي إلا بتفسيرها ومحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى: ﴿وَرَقُضِينَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾<sup>(2)</sup> والمعنى: تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج: ويجوز أن يكون ﴿إِنْ﴾ في موضع نصب المعنى إنما صارت نعمة علي لأن عبدت بني إسرائيل أي لو لم تفعل ذلك لكفنتني أهلي، ولم يلقوني في اليوم.

قَالَ رِزْوَانٌ وَمَا رَبُّ الْمُنَائِبِينَ ﴿١٣﴾

لما قال له: بوابه إن ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له: عند دخوله ﴿وما رب العالمين﴾ يريد أي شيء رب العالمين؟ وهذا السؤال لا يخلو إما أن يريد به أي شيء هو من الأشياء التي شوهدت، وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه ليس بشيء مما شوهد، وعرف من الأجرام والأعراض وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثل شيء وإما أن يريد به أي شيء مما شوهد، وعرف من الأجرام والأعراض وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثل شيء وإما أن يريد به أي شيء هو على الإطلاق تفتيشاً عن حقيقته الخاصة ما هي، فأجاب بأن الذي إليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالاً بأفعاله الخاصة على ذلك، وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول تفتيش عما لا سبيل إليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق، والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه لادعائه الإلهية، فلما جاب موسى بما أجاب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية إلى غيره، فلما ثنى بتقرير قوله: جننه إلى قومه وطنز به<sup>(3)</sup> حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال: لئن اتخذت إلهاً غيري.

عشرة سنة وفرز منهم على أثرها والله أعلم بصحيح ذلك، وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لأنه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل وأما الفعل فلأنها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازيه وعظم ذلك وفظحه.

وَقَمَلَتْ فَعَلَّتْكَ أَلَّتِي فَعَلَّتْ وَأَنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٤﴾

بقوله<sup>(1)</sup>: ﴿وفعلت فعلتك﴾، التي فعلت ﴿وانت من الكافرين﴾ يجوز أن يكون حالاً أي: قتلته وأنت لذلك من الكافرين بنعمتي أو أنت إذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه أو جهل أمره لأنه كان يعايشهم بالثقية فإن الله تعالى عاصم من يريد أن يستنبه من كل كبيرة، ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز أن يكون قوله: وأنت من الكافرين حكماً عليه بأنه من الكافرين بالنعم، ومن كانت عاداته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعاً منه أي بأنه من الكافرين لفرعون وإلهيته أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم، فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى: وينرك وألهتك، وقرئ إلهتك فأجابه موسى بأن تلك أفعلة إنما فرطت منه وهو.

قَالَ مَكَلَّمُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الْمُنَائِبِينَ ﴿١٥﴾

﴿من الضالين﴾ أي: الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه كما قال: يوسف لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب، أو الناسين من قوله: أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرا ساحتها بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل من رشح للنبوذة عن تلك الصفة، ثم كرر على امتنانه عليه بالتربية فأبطنه من أصله واستأصله من سنخه وأبى أن يسمى نعمته إلا نعمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت، وتعبيدهم تليلهم واتخاذهم عبداً يقال عبدت الرجل وأعبدته إذا اتخذته عبداً قال:

علام يعبديني قومي وقد كثرت فيهم أباعر ما شاؤا وعبدان  
فَإِنْ قُلْتَ: إذا جواب وجزاء معاً والكلام وقع جواباً لفرعون، فكيف وقع جزاء؟ قُلْتُ: قول فرعون: ﴿وفعلت فعلتك﴾ فيه معنى إنك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له

(2) سورة الحجر، الآية: 66.

(3) طنز به: أي سخر به.

(1) قال أحمد: ووجه التفظيع عليه من ذلك أن في إتيانه به مجملاً مبهماً إذناً بأنه لفظاعته مما لا ينطق به، إلا مكتباً عنه، ونظيره في التفضيم المستفاد من الإبهام، قوله تعالى: ﴿غشيه من اليم ما غشيهم إذ يغشى السدرة ما يغشى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾. ومثله كثير. والله أعلم.

وهذا يدل على صحة هذا الوجه الأخير.

قَالَ رَبُّ الْمَسْجُودِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٦﴾.

فإن قُلْتُ: كيف قيل: ﴿وما بينهما﴾ على التثنية والمرجع إليه مجموع! قُلْتُ: أريد وما بين الجنسين فعل بالضمير ما فعل بالظاهر من قال: في الهيجا جمالين.

فإن قُلْتُ: ما معنى قوله: ﴿إن كنتم موقنين﴾ وأين عن فرعون وملته الإيقان؟ قُلْتُ: معناه إن كان يرجى منكم الإيقان الذي يؤدي إليه النظر الصحيح نفعمكم هذا الجواب، وإلا لم ينفع أو إن كنتم موقنين بشيء قط فهذا أولى ما توتقون به لظهوره وإثارة ليليه.

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَتَمَوَّنَ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١٩﴾.

فإن قُلْتُ: ومن كان حوله! قُلْتُ: أشراف قومه قبل كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة.

فإن قُلْتُ: نكر السموات والأرض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى نكرهم ونكر آبائهم بعد ذلك ونكر المشرق والمغرب؟ قُلْتُ: قد عمم أولاً ثم خصص من العام للبيان أنفسهم وآباءهم لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه، وما شاهد وعابن من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة إلى هيئة وحال إلى حال من وقت ميلاده إلى وقت وفاته، ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدلل به ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمرود بن كنعان فهبت الذي كفر.

قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾.

وقرئ: ﴿رب المشارق والمغرب﴾ الذي أرسل إليكم بفتح الهمزة.

فإن قُلْتُ: كيف قال: أولاً ﴿إن كنتم موقنين﴾ وأخراً: ﴿إن كنتم تعقلون﴾؟ قُلْتُ: لآين أولاً فلما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض إن رسولكم لمجنون بقوله: ﴿إن كنتم تعقلون﴾.

قَالَ لِمَنْ أَعْتَدَتْ لَهَا عَذَابٌ لَجْجَمٌ مِّنَ الْمُسْجُودِ ﴿٢١﴾.

فإن قُلْتُ: ألم يكن لاسجنك أخصر من ﴿لاجعلك من المسجونين﴾ ومؤدياً مؤداه! قُلْتُ: أما أخصر فنعم وأما مؤد مؤداه فلا لأن معناه: لاجعلك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني، وكان من عانته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها، ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد.

قَالَ أَوْلَوْ جِئْتَكُ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾.

الواو في قوله<sup>(١)</sup>: ﴿أولو جئتكم﴾ أو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك، ولو جئتكم بشيء مبين أي: جائياً بالمعجزة.

قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٢٣﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هُوَ خَبَابٌ مُّبِينٌ ﴿٢٤﴾.

وفي قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصلق الكاذب، ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات، وتقديره: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في دعواك أتيت به فحذف الجزاء لأن الأمر بالإتيان به يدل عليه.

﴿ثعبان مبين﴾ ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الأشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل، ثم انحطت مقبلة

== حيث كان على يد غيرهم من الكاذبين الأشقياء، قيل: معاذ الله أن نأخذ نك بنفس مطمئنة بصوق الأنبياء أمانة بحصول العلم لها من وقوع ما جوزّه العقل، ولو قدح الإمكان العقلي في علم حاصل يقيني للزم الآن الشك في أن جبال الأرض قد عانت تبرا أحمر، وترابها مسكاً أنقر، وانقلبت البحار دماً عبيطاً؛ لأن ذلك ممكن في العقل بلا خلاف، ولا يشكك نفسه في هذا الإمكان، إلا نو خبل وعتو وعمي وعمه، وأين الزمخشري من الحديث الصحيح في الشاب الذي يكتب الدجال؛ فيقسمه بالسيف جزلتين فيمشي بينهما، ثم يقول له: عد فيعود حياً، فيقول له: ما أزدبت فيك إلا بصيرة أنت الدجال الذي وصفه لنا رسول الله ﷺ، فيهم به ثاني مرة فلا يسلط عليه، قال النبي ﷺ: ﴿وهو حينئذ خير أهل الأرض، أو من خير أهل الأرض، أقرأيت هذا المؤمن لما نظر انخراق العادة على يد أكذب الكاذبين حتى شاهد ذلك في نفسه لم يشككه ذلك في معلومه، فلم يتلأ في معاودة تكذيبه، ولكن ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء.

(١) قال أحمد: ليته سلم وجه تصنيفه من تأليل هذه الآباطيل، وكلف هذا التكليف في كيد لاهل السنة، وإن كيد لفي تضليل بينا هو يعرض بتفضيل فرعون عليهم إذا هو قد حتم على إخوانه القدرية أنهم فراعنة، وإن كلاً منهم إذا قتش نفسه وجد فيها نصيباً من فرعنته، حيث يقول: أنا ربكم الأعلى؛ لأنهم يعتقدون أن أفعالهم خلقهم، وأنهم لها مبدعون خالقون كلاً إنهم لهم المبتدعون المختلقون؛ لأنهم حجروا على الله تعالى أن يفعل إلا ما توطأت أوامهم على أنه حسن بالنسبة إلى الخلق في الشاهد، فمن ثم أشركوا به وهم لا يشعرون، ولما هدى الله تعالى أهل السنة إلى التوحيد الحق اعتقدوا أن كل شيء هو مخلوق لله تعالى لا شريك له في ملكه، وأن كل ممكن يجوز أن ينظمه سلطان القدرة الأتلية في سلكه، فكان من الممكنات أن يبتلي الله عباد به خرق العادات على أيدي الكذابين، ومراده إظهار الضلالات وقد اندرج ذلك لكونه ممكناً تحت سطوة القدرة حقاً بيناً، ثم لم يلزم من ذلك لله الحمد خرم في الدين، فإن توهم ناظر بعين الهوى والفرض معنون عما في قلبه من مرض، أن ذلك يجر إلى عدم الوثوق بمعجزات الأنبياء ==

إلى فرعون وجعلت تقول: يا موسى مرني بما شئت ويقول: فرعون أسالك بالذي أرسلك ألا أخذتها، فأخذها فعاتت عصا.

وَوَجَّ بِدُمِّ إِذَا مِنْ يَبَسَاءَ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾

﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ دليل على أن بياضها كان شيئاً يجتمع النظارة على النظر إليه لخروجه عن العادة، وكان بياضاً نورياً روى أن فرعون لما أبصر الآية الأولى قال: فهل غيرها فأخرج يده، فقال له: ما هذه؟ قال: يدك فما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق.

قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾

فإن قُلْتُ: ما العامل في حوله! قُلْتُ: هو منصوب نصيب نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحسني، وهو النصب على الحال قال: ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين، وبقي لا يدري أي طرفيه أطول حتى زل عنه نكر دعوى الإلهية وحط عن منكببيه كبرياء الربوبية وارتدعت فرائضه وانتفخ سحره خوفاً ورفقا، وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم يزعمه عبيده وهو إلههم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه، وتوقعه وأحس به من جهة موسى عليه السلام وغلبيته على ملكه وأرضه وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ قول: باهت إذا غلب وتمحل إذا لزم.

بُرِيدٌ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾

﴿تأمرؤن﴾ من المؤامرة وهي المشاورة، أو من الأمر الذي هو ضد النهي جعل العبيد أمرين وربهم مأموراً لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة، و«مأذاه» منصوب إما لكونه في معنى المصدر وإما لأنه مفعول به من قوله أمرتك الخير.

قَالُوا أَرْجَاهُ وَأَخَاهُ وَأَيُّكُمْ فِي الدَّلَائِنِ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾ بِأَتَاوَكُ يَكْتَلِي سَحَابًا عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾

قريئ: ﴿أرجئه﴾ و﴿أرجه﴾ بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال: أرجأته وأرجيته إذا أخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق، ويقولون هم مرجئون لأمر الله<sup>(1)</sup> والمعنى: أخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل: أحبسها ﴿حاشرين﴾ شرطاً يحشرون السحرة وعارضوا قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ﴾ بقولهم: ﴿بكل سحار﴾ فجاءوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطمأنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه.

وقرأ الأعمش: ﴿بكل ساحر﴾.

فَجَعَلَ السَّحَرَةَ لِيَقْتَتِلَ يَوْمَ الْقِيَامِ ﴿٣٨﴾

اليوم المعلوم: يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لأنه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة في قوله: ﴿موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى﴾<sup>(2)</sup> والميقات ما وقت به أي: حدد من زمان أو مكان منه مواقيت الإحرام.

وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

﴿هل أنتم مجتمعون﴾ استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحاثتهم كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول: تأبط شرا:

هل أنت باعث دينار لحاجتنا أو عبد رب أخاعون بن مخراق

لَمَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾

يريد أبعثه إلينا سريعاً ولا تبطئ به ﴿لعلنا نتبع السحرة﴾ أي: في دينهم إن غلبوا موسى، ولا تتبع موسى في دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وإنما الغرض الكلي أن لا يتبعوا موسى، فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوه لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام. وقريئ نعم بالكسر وهما لغتان.

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةَ قَالُوا لِيُرْعَوْا أَنَّهُمْ لَنَا لَاجِرُونَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَتْ نَعَمْ وَإِنَّمَا إِذَا لَيْنَ الْمُتَمَرِّينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَفَلَا مَا أَنْتُمْ مُتَّفِقُونَ ﴿٤٣﴾

ولما كان قوله: ﴿إن لنا لاجراً﴾ في معنى جزاء الشرط لدلالته عليه وكان قوله: ﴿وإنكم إذا لمن المقربين﴾ معطوفاً عليه ومختلاً في حكمه دخلت إذا قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم إلى الثواب على سحرهم الذي قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى.

قَالُوا جَاءَكُمْ رَعَصَاتُكُمْ وَقَالُوا بِيَرَّةٍ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

أقسموا بعزة فرعون وهي من إيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله، ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقاً ببعض أسمائه أو صفاته كقولك: بالله والرحمن وربِّي ورب العرش وعزة الله وقدره الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله ﷺ: لا تحلفوا بأبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم

== بقوله تعالى: ﴿إن لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ اللهم فاشهد أنا مرجئة.

(2) سورة ناه، الآية: 59.

(1) قال أحمد: ضاقت عليه المسالك في تفسير الإرجاء حتى استدل عليه بالمرجئة، وصرف هذا اللقب لأهل السنة، فإنهم هم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق المؤمنين، ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عفا عنهم وإن شاء غفر لهم، فإن كانت المرجئة هم المؤمنون ==

الكثيرة أو لا ضير علينا فيما تتوعنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت، والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لا ضير علينا في قتلك إنك إن قتلتنا انقلبتنا إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان وخبر لا محذوف، والمعنى: لا ضير في ذلك أو علينا.

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾.

﴿إن كنا﴾ معناه لأن كنا وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد، وقرئ: ﴿إن كنا﴾ بالكسر وهو من الشرط الذي يجيء به المدل بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين أنهم ﴿أول المؤمنين﴾ ونظيره قول: العامل لمن يؤخر جعله إن كنت علمت لك فوفني حقي ومنه قوله تعالى: ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾ (2) مع علمه أنهم لا يخرجوا إلا لذلك.

﴿وَأَخْبَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِبَ إِتْرَىٰ أَتْرَىٰ مُتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَلَأَيْنِ حَاشِيَيْنِ ﴿٥٣﴾﴾.

قرئ: ﴿أسر﴾ بقطع الهمزة ووصلها وسر ﴿إنكم متبعون﴾ علل الأمر بالإسراء باتباع فرعون، وجنوده آثارهم والمعنى اتني بنيت تبشير أمركم وأمرهم على أن تتقنموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم، ويسلكوا مسلككم من طريق البحر، فاطبقة عليهم فاهلكهم وروي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي أن الله أوحى إلى موسى: أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت، ثم انجوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فلإني سأمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتاً على بابه دم وسأمرهم بقتل أبقار القبط واخبزوا خبزاً فطيراً فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فياتيكم أمري، فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما: خرج فرعون في ألف حصان سوري الإنات فلنلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً وسماهم شزيمة قليلين.

إِنَّ هَذِهِ لَشِزْمَةٌ قَلِيلَةٌ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَأَلْمَاطُونَ ﴿٥٥﴾.

﴿إن هؤلاء﴾ محكى بعد قول: مضمر والشزيمة الطائفة القليلة ومنها قولهم: توب شرانم للذي بلى وتقطع قطعاً ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلاً بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً

صانقون<sup>(1)</sup>، ولقد استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم جاهلية نسبت لها الجاهلية الأولى، وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه، فإذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف.

فَأَلْفَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٥٦﴾.

﴿ما يافكون﴾ ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم، وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيمهم أنها حيات تسعى بالتصويه على الناظرين، أو إفكهم سمي تلك الأشياء إفكاً مبالغة، روي أنهم قالوا: إن بك ما جاء به موسى سحرًا فلن يغلب وإن كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقت ما أتوا به علموا أنه من الله، فأمنوا وعن عكرمة رضي الله عنه: أصبحوا سحرة وأمساوا شهداء.

فَأَلْفَىٰ السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿٥٧﴾ فَأَلَا أَمَّا رَبِّ الْمَلَأَيْنِ ﴿٥٨﴾.

وإنما عبر عن الحرور بالإلقاء لأنه نكر مع الإلقاءات، فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضاً مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا فطرحوا طرفاً.

﴿إن قلت﴾ فاعل الإلقاء ما هو لو صرح به؟ قلت: هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق أو إيمانهم أو ما عينوا من المعجزات الباهرة ولك أن لا تقدر فاعلاً لأن القوا بمعنى خروا وسقطوا.

رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٥٩﴾.

﴿رب موسى وهرون﴾ عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون لعنه الله كان يدعي الربوبية، فأرادوا أن يعزلوه ومعنى إضافته إليهما في ذلك المقام أنه الذي يدعو إليه هذان والذي أجرى على أيديهما ما أجرى.

قَالَ أَمْسَرَ لَمْ يَبَلْ أَنْ أَدَنَّ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَيْرٌمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ الْيَعْرَ فَلَسَوْفَ تَكُونُونَ لَأَطِيعِينَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْسُلَكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَالْأَمْرَ لَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٠﴾.

﴿فلسوف تعلمون﴾ أي: وبال ما فعلتم.

فَأَلَا لَا صَبْرَ لِيَا إِنْ رَوَّيَا مَقِيلُونَ ﴿٦١﴾.

الضر والضير والضور واحد، أرادوا: لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا، والثواب العظيم مع الأعواض

(1) أخرجه النسائي في كتاب: الإيمان والنذور، باب: الحلف بالأهماء، (الحديث: 3769).

(2) سورة الممتحنة، الآية: 1.

لا يبقى منا أحد، الفرق الجزء المتفرق منه.

﴿سَيَهْدِين﴾ طريق النجاة من إرآكهم وإضرارهم.

فَأَرْحَبْنَ إِلَى مَرْوَىٰ أَوْ أَضْرِبْ بِمَصَاكِ الْبَحْرِ فَاثْلَقَنَّكَ كُلُّ فِرْقٍ  
كَأَطْوَرِ الْعَظِيمِ ﴿١٧﴾.

وقرئ: ﴿كل فلق﴾ والمعنى واحد والطود الجبل العظيم  
المنطاد في السماء.

وَأَرْزَلْنَا نَمَّ الْأَخْرَيْنَ ﴿١٨﴾ وَأَجِينَا مَرْوَىٰ وَمَنْ تَعَهُ أَجْمِينَ ﴿١٩﴾.

﴿وَأَرْزَلْنَا نَم﴾ حيث انطلق البحر.

نَمَّ أَرْزَلْنَا الْأَخْرَيْنَ ﴿١٩﴾.

﴿الآخرين﴾ قوم فرعون أي: قريبتهم من بني إسرائيل  
أو أنبتنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم  
أحدًا وقد مناهم إلى البحر، وقرئ: ﴿وَأَرْزَلْنَا﴾ بالوقف أي:  
أزلنا أقدامهم والمعنى: أذهبنا عزهم كقولهم:

تداركتما عبسًا وقد نزل عرشها ونبيان إذ نزلت بأقدامها النعل

ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما  
جعله لبني إسرائيل يبسًا فيزلقهم فيه، عن عطاء بن  
السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين  
آل فرعون، فكان يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم بأولكم  
ويستقبل القبط، فيقول: رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى  
موسى إلى البحر، قال له مؤمن آل فرعون، وكان بين يدي  
موسى: أين أمرت، فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون  
قال: أمرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع، فأوحى الله  
تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا  
عشر طريقًا لكل سبط طريق، وروي أن يوشع قال: يا  
كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال  
موسى: ههنا فحاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه  
البحر فدخلوا، وروي أن موسى قال عند ذلك: يا مَنْ كان  
قبل كل شيء والمكُون لكل شيء، والكائن بعد كل شيء.  
ويقال: هذا البحر هو بحر القلزم وقيل: هو بحر من وراء  
مصر يقال له: أساف.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآية﴾ آية آية وآية لا توصف وقد عاينها  
الناس وشاع أمرها فيهم، وما تنبه عليها أكثرهم ولا آمن  
بالله وبنو إسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى  
المخصوصين بالإنجاه قد سالوه بقرة يعبدونها، واتخذوا  
العجل وطلبوا رؤية الله جهرة.

واختار جمع السلامة الذي هو للقلعة<sup>(1)</sup>، وقد يجمع القليل  
على قلة وقلل ويجوز أن يريد بالقلعة النلة والقماءة ولا يريد  
قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا ببالي بهم ولا يتوقع  
غلبتهم وعلوهم، ولكنهم يفعلون أفعالًا تغيظنا وتضيق  
صورتنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال  
الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى حسم  
فساده وهذه معانير اعتذر بها إلى أهل المداخن لئلا يظن  
به ما يكسر من قهره وسلطانه.

وَأَنَا جَبِيحٌ حَذْرُونَ ﴿٢١﴾ فَأَحْرَقْتَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ وَيَوْمَئِذٍ ﴿٢٢﴾.

وقرئ: ﴿حذرون﴾ وحانرون وحادرون بالبدال غير  
المعجمة، فالحذر اليقظ والحائر الذي يجند حذره وقيل:  
المودى في السلاح، وإنما يفعل ذلك حذرًا واحتياطًا لنفسه  
والحادر السمين القوي قال:  
أحب الصبي السوء من أجل أمه وأبغضه من بغضها وهو حادر  
أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل: مدججون في السلاح قد  
كسبهم تلك حدارة في أجسامهم.

وَكَبِيرٌ وَمَقَابِرٌ كَثِيرَةٌ ﴿٢٣﴾.

وعن مجاهد سماها: كنوزًا لأنهم لم ينفقوا منها في  
طاعة الله، والمقام المكان يريد المنازل الحسنة، والمجالس  
البيهية وعن الضحاك: المقابر وقيل: السر في الحجال.

كَذَلِكَ وَأَرْزَلْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٤﴾.

﴿كذلك﴾ يحتمل ثلاثة أوجه النصب على إخراجناهم  
مثل تلك الإخراج الذي، وصفناه والجر على أنه وصف  
لمقاد أي: ﴿مقام كريم﴾ مثل ذلك المقام الذي كان لهم  
والرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: الأمر كذلك.

فَأَتَوْهُمْ سُحْرًا مَبِينًا ﴿٢٥﴾.

﴿فاتبعوهم﴾ فلحقوهم، وقرئ: فاتبعوهم ﴿مشرقين﴾  
داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقًا إذا  
طلعت.

فَلَمَّا تَرَآ الْكُفْرَانَ قَالَ مُوسَىٰ إِنَّ لِمَدْرَكَيْنِ ﴿٢٦﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ  
مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾.

وقرئ فلما تراءت الفتان إنا لمدركون بتشديد الدال  
وكسر الراء من أدرك الشيء إذا تتابع ففنى ومنه قوله  
تعالى: ﴿بل أدرك علمهم في الآخرة﴾<sup>(2)</sup> قال: الحسن  
جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة:  
أبعد بني أمي الذين تتابعوا أرجى الحياة أم من الموت أجزع  
والمعنى: إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى

= كما أقر في قوله: ﴿كم من فئة قليلة﴾ ليدل بجمعه على تناهيه  
في القلة، لكن يبقى النظر في أن هذا السر يبقي الوجوه المنكورة  
على ما هي عليه، أو يسقط منها شيئًا ويخلفه فتأمل، والله  
الموفق.

(2) سورة النمل، الآية: 66.

(1) قال أحمد: ووجه آخر في تقليدهم يكون خامسًا، وهو أن جمع  
الصفة والموصوف منفرد قد يكون مبالغة في لصوق ذلك  
الوصف بالموصوف، وتناهيه فيه بالنسبة إلى غيره من  
الموصوفين به، كقولهم معاً: زيد جياح مبالغة في وصفه بالجوع،  
فكذلك ههنا جمع قليلاً، وكان الأصل إفراده فيقال: لشرنمة قليلة،

وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْ أَعْيُنُ الرَّجِيذِ ﴿٧٨﴾

﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَمَوْ أَعْيُنُ الرَّجِيذِ﴾ المنتقم من أعدائه  
﴿الرحيم﴾ بأوليائه.

وَأَنْتَ عَلَيهِمْ بَآ إِزْهِيْرَ ﴿٧٩﴾

كان إبراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه  
سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في  
شيء كما تقول للتاجر: ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق  
ثم تقول له: الرقيق جمال وليس بمال.

إِنَّ قَالَ لِأَيِّهِمْ وَقُرْيُوْهُ مَا تَعْبُدُوْنَ ﴿٨٠﴾

فَإِنْ قُلْتُمْ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ سؤال عن المعبود فحسب  
فكان القياس أن يقولوا: أصناماً كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَلْثُونَكَ  
مَاذَا يَنْفَعُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (١) ﴿مَاذَا قَالَ رَبِّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ (٢)  
﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبِّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ (٣) قُلْتُمْ: هؤلاء قد جاؤا بقصة  
أمرهم كاملة كالمبتجحين بها والمفتخرين، فاشتملت على  
جواب إبراهيم وعلى ما قصده من إظهار ما في نفوسهم  
من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم  
﴿نعبد﴾.

قَالُوا تَبَدُّ أَسْمَاءًا نَنْظُرُ لَهَا عَكْبَرِينَ ﴿٨١﴾

﴿فَنظُرُ لَهَا عَاكِفِينَ﴾، ولم يقتصر على زيادة نعيد  
وحده، ومثاله أن تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلايك،  
فيقول: ألبس البرد الاتحمي فأجزئ نيله بين جوارى الحي  
وإنما قالوا: نطل لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل.

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ يَسْمَعُونَكَ أَوْ يَسْمَعُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا  
بَلْ يَسْمَعُونَ يَا أَبَتَنَا كَذَلِكَ يَسْمَعُونَ ﴿٧٨﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٩﴾  
أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَامُونَ ﴿٨٠﴾

لا بد في ﴿يسمعونكم﴾ من تقدير حذف المضاف  
معناه هل يسمعون دعاءكم وقراءتكم: ﴿يسمعونكم﴾ أي  
هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم، وهل يقدرون على ذلك  
وجاء مضارعاً مع إيقاعه في إذ على حكاية الحال الماضية،  
ومعناه: استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها  
فيها وقولوا: هل سمعوا أو اسمعوا قط وهذا يُبلغ في  
التبكي، لما أجاوبه بجواب المقلدين لأبائهم قال لهم: رقوا  
أمر تقليديكم هذا إلى أقصى غاياته وهي عبادة الأقدمين  
الأوليين من آبائكم، فإن التقدّم والأولية لا يكون برهاناً على

الصحة والباطل لا ينقلب حقاً بالقدم وما عبادة من عبد  
هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى:  
﴿كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾ (٤) ولأنَّ  
المغري على عبادتها أعدى أعداء الإنسان وهو الشيطان.

فَأَنْتُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْأَعْلَيْنِ ﴿٧٧﴾

وإنما قال: ﴿عدو لي﴾ تصويراً للمسألة في نفسه على  
معنى أني فكرت في أمري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو،  
فاجتنبتها وأثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها  
نصيحة نصح بها نفسه أولاً وبني عليها تدبير أمره  
لينظروا، فيقولوا: ما نصحننا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه  
وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه ليكون أدعى لهم إلى القبول،  
وأبعث على الاستماع منه ولو قال: فإنه عدو لكم لم يكن  
بتلك المثابة ولأنه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ  
التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لأنه يتأمل فيه  
ربما قاده التأمل إلى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي  
رضي الله تعالى عنه: أن رجلاً واجهه بشيء، فقال: لو كنت  
بحيث أنت لاحتجت إلى أب وسمع رجلاً ناساً يتحدثون  
في الحجر فقال: ما هو بيتي ولا بيتكم. والعدو والصديق  
يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال:

وقوم على نوي مثرة أراهم عدواً وكانوا صديقا  
ومنه قوله تعالى: ﴿وهم لكم عدو﴾ (٥) شبيهاً بالمصادر  
للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل ﴿إلا رب  
العالمين﴾ استثناء منقطع كأنه قال: ولكن رب العالمين.

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يُعِيدُنِي ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُعَلِّمُنِي وَيُنصِّئُنِي ﴿٧٩﴾

﴿فهو يهدين﴾ يريد أنه حين أتم خلقه، ونفخ فيه  
الروح عقب تلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع إلى كل ما  
يصلحه ويعنيه، وإلا فمن هداه إلى أن يغتدي بالدم في  
البطن امتصاصاً، ومن هداه إلى معرفة الثدي عند الولادة  
وإلى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع إلى غير ذلك  
من هدايات المعاش، والمعاد.

وَإِذَا مَرَضْتُ فَمَنْ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُجَيِّبُنِي ﴿٨١﴾

وإنما قال: ﴿مرضت﴾ دون أمرضني لأن كثيراً من  
أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه  
ومشاربه (٦) وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء: لو قيل: لاكثر  
الموتى ما سبب آجالكم لقالوا: التخم.

= وهي أشد من المرض، فلم يثبت عنده المعنى المذكور، ولكن  
المعنى الذي أبداه الزمخشري أيضاً في المرص ينكسر بالموت،  
فإن المرض كما يكون بسبب تفريط الإنسان في نفسه، كذلك  
الموت الناشئ عن سبب هذا المرض الذي يكون بتفريط الإنسان،  
وقد أضافه إلى الله تعالى، ويمكن أن يفرق بين نسبة الموت  
ونسبة المرض في مقتضى الأدب، بأن الموت قد علم واشتهر أنه  
قضاء محتوم من الله تعالى على سائر البشر، وحكم عام لا يخص،  
ولا كذلك المرض فكم من معافي منه قد بغته الموت، فالتأسي  
بعموم الموت لعله يسقط أثر كونه بلاه فيسوغ في الأدب نسبتاً =

(1) سورة البقرة، الآية: 219.

(2) سورة سبأ، الآية: 23.

(3) سورة النمل، الآية: 30.

(4) سورة مريم، الآية: 82.

(5) سورة الكهف، الآية: 50.

(6) قال أحمد: والذي نكره غير الزمخشري: أن السر في إضافة  
المرض إلى نفسه التأدب مع الله تعالى بتخصيصه بنسبة الشفاء  
الذي هو نعمة ظاهرة إليه تعالى، ولعل الزمخشري إنما عدل عن  
هذا: لأن إبراهيم عليه السلام قد أضاف الإمامة إلى الله تعالى، =

وَالَّذِي أَلْمَحَ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الزَّيْنِ ﴿٨٧﴾.

وقرئ: ﴿خطاياي﴾ والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لأن الأنبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله: ﴿إني سقيم﴾ وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم﴾ وقوله لسارة: ﴿هي أختي﴾ وما هي إلا معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار.

فإن قُلْتَ: إذا لم يندر منهم إلا الصغائر وهي تقع مكفرة فماله أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له! قُلْتَ: الجواب ما سبق لي أن استغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم، ويدل عليه قوله: اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة، وفيه تعليم لامهم وليكون لطفاً لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم.

فإن قُلْتَ: لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين، وإنما تغفر في الدنيا! قُلْتَ: لأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم.

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَارْحَمْنِي بِالصَّبْرِ ﴿٨٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٩﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ رِوَاةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٩٠﴾ وَأَغْفِرْ لِي آيَاتِي إِثْمًا كَمَا مِنْ السَّالِّينَ ﴿٩١﴾.

الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل: النبوة لأن النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله، والإلحاق بالصالحين أن يوافقه لعمل ينتظم به في جملتهم أو يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد أجابه حيث قال: وإنه في الآخرة لمن الصالحين.

وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٩٢﴾.

وإخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزية وهي الحياء وهذا أيضاً من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفي ﴿يبعثون﴾ ضمير العباد لأنه معلوم أو ضمير الضالين وأن يجعل من جملة الاستغفار لأبيه يعني: ولا تخزني يوم يبعث الضالون، وأبي فيهم.

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٩٣﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٩٤﴾.

﴿إلا من أتى الله﴾ إلا حال من أتى الله ﴿بقلب سليم﴾ وهو من قولهم: تحية بينهم ضرب وجيع، وما ثوابه إلا السيف وبيانه أن يقال لك: هل لزيد مال وبنون فقول: ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه وإثبات سلامة القلب له بدلاً عن ذلك، وإن شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى: الغنى كأنه قيل:

يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه، ولك أن تجعل الاستثناء منقطعاً ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال، والبنين حتى يؤول المعنى إلى أن المال والبنين لا ينفعان وإنما ينفع سلامة القلب، ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى، وقد جعل من مفعولاً لينفع أي: لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلاً سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله، ومع بنيه حيث أرشدهم إلى الدين وعلمهم الشرائع، ويجوز على هذا إلا من أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين، ومعنى سلامة القلب: سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما أكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله في الإخلاص أن حكى استثناء هذا حكاية راض بإصابته فيه، ثم جعله صفة له في قوله: وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير بعضهم السليم بالليغ من خشية الله وقول آخر: هو الذي سلم وسلم وأسلم وسالم واستسلم وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم، ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع على تقليدهم أباهم الأقدمين، فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً أن يكون حجة، ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى نكر الله عز وعلا فعظم شأنه وعدت نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته، ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين وابتهل إليها ابتهاج الأوابين، ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا.

وَأَرْزُقْنِي الْجَنَّةَ الْعَمِيمَةَ ﴿٩٥﴾.

الجنة تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويغتبطون بانهم المحشورون إليها.

وَرَزَقْتِ النَّارَ لِلنَّارِ ﴿٩٦﴾.

والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون إليها قال الله تعالى: ﴿وَأَرْزَقْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (1) وقال: ﴿فلما رآوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا﴾ (2)، يجمع عليهم الغنوم كلها والحشرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غمًا في

= إلى الله تعالى، وأما المرض فلما كان مما يخص به بعض البشر دون بعض كان بلاه محققاً، فانتضى العلو في الالب مع الله تحالى أن ينسب الإنسان إلى نفسه باعتبار ذلك السبب الذي لا يخلو منه، ويؤيد ذلك أن كل ما ذكره مع المرض أخبر عن وقوعه بتأ وجزماً؛ لأنه أمر لا بد منه، وأما المرض فلما كان قد =

(1) سورة ق، الآية: 31.

(2) سورة الملك، الآية: 27.

كل لحظة، ويويخون على إشراكهم.

وَقِيلَ لَمْ يَأْتِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَحْضُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿١٢٣﴾.

فيقال لهم: أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنهم وآلهتهم وقود النار.

فَكَبُكِبُوا فِيهَا لَهُمُ وَالْقَاوُونَ ﴿١٢٤﴾.

وهو قوله: ﴿فككبكبوا فيها هم﴾ أي: الأكلة **﴿والقاون﴾** وعبتهم الذين برزت لهم الجحيم، والككببة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ لبياناً على التكرير في المعنى كأنه إذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها. اللهم أجرنا منها يا خير مستجار.

وَحُوْدٌ يُدْعُونَ إِلَيْهِمْ أَجْمَعُونَ ﴿١٢٥﴾.

**﴿وجنود إبليس﴾** شياطينه أو متبعوه من عصاة الجن والإنس.

قَالُوا وَمَنْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿١٢٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنَرِي ضَلَالِئِئِهِمْ إِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ رَبِّ آتَمَلِينَ ﴿١٢٧﴾ وَمَا أَسَلْنَا إِلَّا أَلَمُجْرُونَ ﴿١٢٨﴾.

يجوز أن ينطق الله الأصنام حتى يصح التقاول والتخاصم، ويجوز أن يجري نلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين أضلّوهم رؤسائهم وكبرائهم كقوله: ﴿ربنا إنا أطعنا سائتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا﴾<sup>(١)</sup> وعن السدي: الألوّن الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج: إبليس وابن آدم القتال لأنه أوّل من سن القتل وأنواع المعاصي.

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٢٩﴾.

**﴿فما لنا من شافعين﴾** كما نرى المؤمنين لهم شفعا من الملائكة والتبيين.

وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٣٠﴾.

**﴿ولا صديق﴾** كما نرى لهم أصدقاء لأنه لا يتصاقق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾<sup>(٢)</sup> أو **﴿فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾** من الذين كنا نندمهم شفعا وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الأصدقاء من شياطين الإنس، أو أربابو أنهم وقعوا في مهلكة علموا أنّ الشفعا والأصدقاء لا ينفعونهم ولا ينفعون

عنهم فقصدوا بنفيعهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لأنّ ما لا ينفع حكمه حكم المعنوم. و**﴿الحميم﴾** من الاحتمال وهو الاهتمام وهو الذي يهيمه ما يهيمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص.

فإن قلت: لم جمع الشافع ووجد الصديق؟ قلت: لكثرة الشفعا في العادة وقلة الصديق<sup>(٣)</sup> إلا ترى أنّ الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلدة لشفاعته رحمة له وحسبة وإن لم يسبق له باكثرتهم معرفة، وأما الصديق وهو الصادق في وداك الذي يهيمه ما أهلك، فأعز من بيض الأنوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق، فقال: اسم لا معنى له. ويجوز أن يريد بالصديق الجمع.

قَلَّ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَلَنْ رَيْكَ هُوَ أَلَمُزِيرُ أَرْجِيئِهِ ﴿١٣٣﴾.

الكرة الرجعة إلى الدنيا.

و**﴿لؤلؤ﴾** في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل: فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير، ويجوز أن تكون على أصلها ويحذف الجواب وهو لفلعلنا كيت وكيت.

كذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٤﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٥﴾.

القوم مؤنثة وتصغيرها قويمّة، ونظير قوله: **﴿المرسلين﴾** والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب، ويلبس البرود وماله إلا دابة وبرد<sup>(٤)</sup> قيل: أخوهم لأنه كان منهم من قول العرب: يا أخا بني تميم؛ يرييون يا واحداً منهم ومنه، بيت الحماسة.

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على من قال برهانا

إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٦﴾.

كان أميناً فيهم مشهوراً بالأمانة كمحمد ﷺ في قريش.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٧﴾.

**﴿وأطيعون﴾** في نصحي لكم وفي ما أدعوكم إليه من الحق.

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَنِ رَبِّ الْمَلَأِينَ ﴿١٣٨﴾.

**﴿عليه﴾** على هذا الأمر وعلى ما أنا فيه يعني: دعاه، ونصحه.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٩﴾.

(4) قال احمد: لا حاجة إلى تاويل الجمع بالواحد ههنا مع القطع، بأن كل من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل؛ لأنه ما من نبي إلا ومستند صدقه المعجزة الدالة على الصنق، فقد كذبوا كل من استند صدقه إلى لليل المعجزة، وكذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿لا تفرق بين أحد من رسله﴾ لأن التفرقة بينهم توجب تكذيب الكل وتصديق واحد يوجب تصديق الكل، والله أعلم.

(1) سورة الأحزاب، الآية: 67.

(2) سورة الزخرف، الآية: 67.

(3) قال احمد: العجب أنّ الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع، فما اللليل على إرادة الأفراد، ثم لو كان المراد الأفراد، لكان أعم لأنه في سياق التنفي فيتنفي الواحد، فما زاد عليه إلى ما لا نهاية له، والله أعلم.

اتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح إيمانهم طمعاً في إيمانكم.

إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّرَّ تَنَزُّعُ يَتَّخِجُ لَكَوْنًا مِّنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾.

وما علي إلا أن أنذركم إنذاراً بيناً بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشانكم.

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾.

ليس هذا بإخبار بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أني لا ادعوك عليهم لما غاظوني، وأنوني وإنما ادعوك لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم.

فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَسَمًا وَيَحْيَىٰ وَمَنْ مَّيَّ يَنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾.

﴿بيني وبينهم﴾ والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلاً لأنه يفصل بين الخصومات.

فَأَيَّتَنَّهُ وَنَنَّ مَعَهُ فِي الْأَفْئَاتِ الْمَسْحُورِينَ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَحَرُّهُمُ هَرُودُ آلَا نَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَأْسٍ إِنْ أَجَبْتُمْ لَآ عَاقِبَةَ لَكُمْ رَبِّيَ الْعَاقِبِينَ ﴿١٢٦﴾.

﴿الفلك﴾ السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى: ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾<sup>(3)</sup> فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد، كسروا فعلاً على فعل كما كسروا فعلاً على فعل لأنهما أخوان في قولك: العرب والرشد والرشد فقالوا: أسد وأسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وإبل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص، فالواحد بوزن كنان والجمع بوزن كرام، والمشحون: المملوء يقال: شحنتها عليهم خيلاً ورجالاً.

أَتَّبَعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ مَّائَةً تَسْبُونَ ﴿١٢٧﴾.

قريئ: ﴿بكل ريع﴾ بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال: المسيب بن علس:

في الأل يرفعها ويخفضها ريع يلوح كأنه سحبل ومنه قولهم: كم ريع أرضك وهو ارتفاعها والآية العلم، وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقتهم أعلاماً طوالاً فعبثوا بذلك لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام<sup>(4)</sup>.

ومعنى: ﴿فاتقوا الله واطيعون﴾. فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكد عليه ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحدة منهما بعلّة جعل علّة الأوّل كونه أميناً فيما بينهم، وفي الثاني حسم طعمه عنهم، وقريئ وأتباعك جمع تابع كشاهدوا شهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال والواو للحال وحقها أن يضمر بعدها قد في وأتبعك.

﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾.

وقد جمع الأرذل على الصحة وعلى التكثير في قوله: ﴿الذين هم أرذلنا﴾<sup>(1)</sup> والرذالة والنذالة الخس والنذاعة وإنما استرذلوهم لا تضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل: كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزرى بالديانة وهكذا كانت قريش تقول: في أصحاب رسول الله ﷺ، وما زالت أتباع الأنبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن أتباع رسول الله ﷺ فلما قال: ضعفاء الناس وأرذلهم قال: ما زالت أتباع الأنبياء كذلك<sup>(2)</sup>، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم الغاغة. وعن عكرمة: الحاكمة والأساكمة. وعن مقاتل: السفلة.

قَالَ وَمَا عَلِيٌّ بِمَا كَانُوا يَمْلِكُونَ ﴿١٢٩﴾.

﴿وما علمي﴾، وأي شيء علمي والمراد انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله وإطلاعه على سر أمرهم وباطنه وإنما قال هذا لأنهم قد طعنوا مع استرذالهم في إيمانهم وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وإنما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم أرذلنا بادي الرأي، ويجوز أن يتغابي لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الأرذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال، وفساد العقائد ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم ثم بيني جوابه على ذلك فيقول: ما علي إلا اعتبار الظواهر بوزن التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم عمل سيء فإله محاسبهم ومجازيهم عليه، وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز.

إِنَّ حِسَابَهُمْ لَآ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٣٠﴾.

﴿لو تشعرون﴾ ذلك ولكنكم تجهلون فتتساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك ردّ اعتقادهم، وإنكار من يسمى المؤمن رذلاً وإن كان أفقر الناس، وأوضعهم نسباً فإن الغني غنى الدين والنسب نسب التقوى.

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾.

﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ يريد ليس من شأني أن

(1) سورة هود، الآية: 27.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي، باب: (6)، (الحديث: 7).

(3) سورة فاطر، الآية: 12.

(4) قال أحمد: وتاويلها على القصور اظهر، وقد ورد ثم ذلك على =

= لسان نبينا ﷺ حيث وصف الكائنين آخر الزمان، بأنهم يتناولون في البنيان، وما أحسن قول مالك رضي الله عنه: ولا يصلي الإمام على شيء أرفع مما عليه أصحابه، كالذكك تكون مرتفعة في المحراب ارتفاعاً كبيراً؛ لأنهم يعيئون، فعبر عن ترفعهم إلى =

أو ما خلقنا هذا إلا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمين وبواحدة، فمعناه: ما هذا الذي نحن عليه من الدين ﴿إلا خلق الأولين﴾ وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتنون، أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة، والموت إلا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلا عادة الأولين كانوا يلقون مثله ويسطرونه.

أَتَرَكُونَ فِي مَا هَنَأَ أَمِيرِك (٤٦).

﴿اتركون﴾ يجوز أن يكون إنكاراً لأن يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه، وأن يكون تذكيراً بالنعمة في تخليته الله إياهم وما يتعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الأمان والدعة ﴿في ما هنأ﴾ في الذي استقر في هذا المكان من النعيم.

فِي جَنَّتِي وَعُيُونِي (٤٧).

ثم فسره بقوله: ﴿في جنات وعيون﴾ وهذا أيضاً إجمال ثم تفصيل.

وَرَزَقَ وَحَلِي طَلْمَهَا مَصِيرٌ (٤٨).

فإن قلت: لم قال ﴿ونخل﴾ بعد قوله: ﴿في جنات﴾ والجنة تتناول البخل أول شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى أنهم لينكرون الجنة، ولا يقصدون إلا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل، قال زهير: تسقى جنة سحفاً! قلت: فيه وجهان أن يخص النخل بإفراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيهاً على انفراده عنها بفضله عليها وأن يريد بالجنات غيرها من الشجر لأن اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل، الطلعة هي التي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنن، والقنن اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع إناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل جفاء، وكذلك طلع البرني اللطف من طلع اللون فنكرهم نعمة الله في أن وهب لهم أجود النخل وأنفعه لأن الإناث، ولادة التمر والبرني أجود التمر وأطيبه ويجوز أن يريد أن نخيلهم أصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات، فحملت الحمل الكثير وإذا كثر الحمل هضم وإذا قل جاء فأخراً وقيل: الهضيم اللين النضيج كأنه قال: ونخل قد أرطب ثمره.

قرأ الحسن ﴿وتنحتون﴾ بفتح الحاء.

وَتَشِيدُونَ مَسَايِعَ لَكُمْ تَحْدُونَ (٤٩).

والمصانع: مأخذ الماء وقيل: القصور المشيدة والحصون ﴿لعلكم تخلدون﴾ ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد، وفي حرف أبي: كأنكم، وقرئ: تخلدون بضم التاء مخففاً ومشدداً.

وَإِذَا بَطَشْتُمْ بِسُوطِهِ أَوْ سَيْفِ كَانَ ذَلِكَ ظِلْمًا وَعُلْوًا،

وقيل: الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن: تباردون تعجيل العذاب لا تنتهون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أجملها ثم فصلها مستشهداً بعلمهم، وذلك أنه أيقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال:

وَأَنْتُمْ الَّذِينَ أَمَدُّرُ بِمَا تَلْمَزُونَ (٥٠).

﴿أمدمكم بما تعلمون﴾ ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديدها ما يعلمون من نعمته، وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى: ﴿ويحزنكم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾ (١).

أَمَدُّرُ بِأَمْرٍ وَبَيْنَ (٥١) وَحَتَّى وَعَيُونِي (٥٢) إِنَّ أَحَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٣).

فإن قلت: كيف قرن البنين بالانعام؟ قلت: هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها.

قَالُوا سَوَاءَ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تُكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (٥٤).

فإن قلت: لو قيل ﴿أوعظت﴾ أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد! قلت: ليس المعنى بواحد، وبينهما فرق لأن المراد سواء علينا أعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومبشره فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك: أم لم تعظ.

إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلُقُ الْأَوَّلِينَ (٥٥) وَمَا عَمَّ يُمْدِدِينَ (٥٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَنَّهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْ أَعْرَبُ الرَّجِيمِ (٥٨) كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (٥٩) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (٦٠) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (٦١) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (٦٢) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَلَكِينَ (٦٣).

من قرأ: ﴿خلق الأولين﴾ بالفتح فمعناه أن ما جئت به اختلاق الأولين وتخرصهم كما قالوا: ﴿أساطير الأولين﴾ (٢)،

== مطابق، وما يجري مجراه ولو وضع هذا في زماننا اليوم لهذا المقصد لم يكن عبثاً، والله أعلم.

(1) سورة آل عمران، الآية: 30.

(2) سورة المطففين، الآية: 13.

== المحراب على سبيل التكبر ومطاولتهم المأمومين بالعبث، كتعبير هود صلوات الله عليه وسلامه عن ترغ قومه في البينان بالعبث، وأما تاويل الآية على اتخاذهم الأعلام في الطرقات، وقد كانت لهم بالنجوم كفاية ففيه بعد من حيث أن الحاجة تدعو إلى ذلك لغيم

وَتَجْتَوِيَنَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴿١٥٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٧﴾

فَمَمْرُومًا فَاصْبِرُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٦﴾ فَاحْذَرُوا الْعَذَابَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴿١٥٧﴾ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَوَافِئِكُمْ كَأَنَّ لَكَ يَدٌ مِمَّنْ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ أَفَ تَتَّقُونَ ﴿١٦٠﴾ إِنِّي أَنْزَلْتُ سُلُوبًا ﴿١٦١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَنْجَرْتُمْ إِلَّا عَنِ رَبِّ الْمَلَأَيْكَةِ ﴿١٦٣﴾

فإن قلت: لم أخذهم العذاب وقد ندموا؟ قلت: لم يكن ندمهم ندم تائبين، ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقرب عقاباً عاجلاً كمن يرى في بعض الأمور أيًا فاسداً ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى: ﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات﴾ (١) الآية. وقيل: كانت ندامتهم على ترك الولد، وهو بعيد واللام في العذاب إشارة إلى عذاب يوم عظيم أراد بالعالمين الناس.

أَتَاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْمَلَأَيْكَةِ ﴿١٦٣﴾

أي: أتاتون من بين أولاد آدم عليه السلام على فرط كثرتهم، وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة نكر أنهم كان الإناث قد أعوزتكم، أو أتاتون أنتم من بين عداكم من العالمين الذكر أن يعني: أنكم يا قوم لوط وحكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول: كل ما ينكح من الحيوان.

وَيَذُرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ عَلَىٰ عَادَتِكُمْ غَافِلُونَ ﴿١٦٤﴾

﴿من أزواجكم﴾ يصلح أن يكون تبييناً لما خلق، وأن يكون للتبويض ويراد بما خلق العضو المباح منه وفي قراءة ابن مسعود ﴿ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم﴾ وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم (٢)، العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أترتكبون هذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عاونون في جميع المعاصي، فهذا من جملة ذاك أو بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان حيث أرتكبتم مثل هذه العظيمة.

قَالُوا لَيْنَ لِرَبِّنَا يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٥﴾

﴿لئن لم تنته﴾ عن نهينا وتبحيح أمرنا ﴿لتكونن﴾ من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا، وطرنا من بلدنا ولعلمهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من

وقرى: ﴿فرهين﴾ وفارمين والفرهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامثال الأمر وارتسامه طاعة الأمر المطاع أو جعل الأمر مطاعاً على المجاز الحكمي، والمراد الأمر ومنه قولهم: لك علي إمرة مطاعة. وقوله تعالى: ﴿واطيعوا أمري﴾.

الَّذِينَ يُسِئُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصَلُّونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٦٧﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

فإن قلت: ما فائدة قوله: ﴿ولا يصلحون﴾؟ قلت: فائدته أن فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيراً حتى غلب على عقله وقيل: هو من السحر الرثة، وأنه بشر.

قَالَ مِنْذِرٌ نَقَّاهُ لَهَا رَبُّهُ وَلَكَرَّ بِرَبِّهِ يَوْمَ تَمْوِيلُهُ ﴿١٦٩﴾

الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت، وقرئ: بالضم. روي أنهم قالوا: نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقياً فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام: صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونجت سقياً مثلها من العظم. وعن أبي موسى: رأيت مصدرها فإذا هو ستون ذراعاً. وعن قتادة: وإذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء.

وَلَا تَسْأَلُ عَنْ يَوْمِئِذٍ أَجْرًا فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٧٠﴾

﴿بسوء﴾ بضرب أو عقرب أو غير ذلك. عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لأن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد، وروي أن مسطعاً الجاهلاً إلى مضيق في شعب فرماها بسهم ناصب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار، وروي أن عاقرها قال لا أعقرها حتى ترضوا أجمعين فكانوا يصلحون على المرأة في خدرها فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم، وكذلك صبيانهم.

(1) سورة النساء، الآية: 18.

(2) قال أحمد: وقد أشار الزمخشري بهذه الإشارة للاستدلال بهذه الآية على حظر إتيان المرأة في غير المأتي، وبيانه أن من لو كانت بيانا لكان المعنى حينئذ على نهم بترك الأزواج، ولا شك أن ترك الأزواج مضموم إلى إتيان النكران، وحينئذ يكون المنكر عليهم الجمع بين ترك الأزواج وإتيان النكران: لا أن ترك الأزواج وحده منكر، ولو كان الأمر كذلك لكان النصب في الثاني متوجهاً على الجمع، وكان إما الإفصح أو المتعين، وقد اجتمعت العامة على =

وَلَيْدَ رَبِّكَ لَوْ لَرَّيْتُ الرَّجِيمَ ﴿٧٦﴾.

والمراد بتدميرهم الانتفاك بهم وأما الإمطار، فعن قتادة: أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالانتفاك حتى أتبعه مطراً من حجارة.

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا سَنَةً مَطَرُ الْمُتَذَرِّينَ ﴿٧٧﴾.

وفاعل ﴿سَاءَ مَطَرُ الْمُتَذَرِّينَ﴾ ولم يرد بالمتذرين قوماً بأعيانهم إنما هو للجنس والمخصوص بالذم محنوف وهو: مطرهم.

كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٨﴾.

قريئ: ﴿أصحاب الأيكة﴾ بالهمزة وبخفيفها وبالجر على الإضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ الالفاظ كما يكتب أصحاب النحو؛ لأن لولا على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة على أن ليكة اسم لا يعرف. وروي أن أصحاب الأيكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم النوم.

إِذْ قَالَ لَكُمْ شُعَيْبٌ يَا قَوْمِ انصَبُوا مَاءَكُمْ فِي سُبُلِكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْلَ الْبَيْتِ الَّذِينَ كَفَرُوا قُلْتُمْ يَا سُبَيْبُ مَا لَنَا بِقَوْمِكَ مِنْ حَقٍّ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٩﴾ فَأَنزَلْنَا السَّمَاءَ مَاءً فَسُفِّتِ السَّيْئَاتُ فَاصْبِرْ إِلَىٰ حُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُبْصِرْ ﴿٨٠﴾.

فإن قُلْتُمْ: هلا قيل: أخوهم شعيب كما في سائر المواضع قُلْتُمْ: قالوا إن شعيباً لم يكن من أصحاب الأيكة وفي الحديث إن شعيباً أبا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ﴿٨١﴾.

﴿الكيل﴾ على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر

تعنيف به واحتباس لأملكه<sup>(١)</sup> وكما يكون حال الظلمة إذا أجلاوا بعض من يغضبون عليه، وكما كان يفعل أهل مكة بمن يريد المهاجرة.

قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿٨٢﴾.

و ﴿من القالين﴾ أبلغ من أن يقول: إني لعملكم قال كما تقول: فلان من العلماء، فيكون أبلغ من قولك: فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معبوداً في زميرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم، ويجوز أن يريد من الكاملين في قلائم والقلبي البغض الشديد كأنه بغض ويقلى الفؤاد والكبد، وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى، وقد تقوى همة الدين في بين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية.

رَبِّ نَجِيِّ وَأَهْلِي مِمَّا يَعْتَمَرُونَ ﴿٨٣﴾.

﴿مما يعملون﴾ من عقوبة عملهم، وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالنتيجة العصمة.

فَجِئْتَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْبَرُ بَدِيعِ رَبِّكَ يُسْمَعُ لِمَا يُعْذِرُ ﴿٨٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿٨٥﴾.

فإن قُلْتُمْ: فما معنى قوله: ﴿فنجيناه وأهله لجمعين إلا عجوزاً﴾ قُلْتُمْ: معناه أنه عصمه وأهله من تلك إلا العجوز، فإنها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي.

فإن قُلْتُمْ: كان أهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثني الكافرة منهم؟ قُلْتُمْ: الاستثناء إنما وقع من الأهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان.

فإن قُلْتُمْ: ﴿في الغابرين﴾ صفة لها كأنه قيل: إلا عجوزاً غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم! قُلْتُمْ: معناه إلا عجوزاً مقدراً غبوراً ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك<sup>(٢)</sup> غير الناجين قيل: إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة.

ثُمَّ دَرَأْنَا الْأَكْبَرِينَ ﴿٨٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِرِينَ ﴿٨٧﴾.

(١) = واعتبر ذلك لو قلت: رضوا بأن يتخلفوا لما كان في ذلك مزيد على الإخبار بوقوع التخلف منهم لا غير، وانظر إلى المساق وهو قوله: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ كيف أحقهم لقباً ريبياً، وصيرهم من نوع رذل مشهور بسمة التخلف حتى صارت له لقباً لاصقاً به، وهذا الجواب عام في جميع ما يرد عليك من أمثال ذلك، فتأمله وأقدره قدره، والله الموفق للصواب.

(٢) قال أحمد: وإن تعجلت برفع القاعدة الممهدة آنفاً، فاعلم أن السر الذي اقتضى العول عن أن يقول مثلاً، إلا عجوزاً غابرة إلى ما نكر في المتلوه، هو أن المنكور في التلاوة يقتضي الإسجال عليها، بانها من أمة موسومين بهذه السمة من الهلاك كما قدمته الآن، فهو أبلغ من مجرد وصفها بالغبور، والله أعلم.

(١) قال أحمد: وكثيراً ما ورد في القرآن خصوصاً في هذا الصورة العول عن التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة المشتقة، ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع كقول فرعون: لاجعلنك من المسجونين، وقولهم: ﴿سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ وقولهم: ﴿لنكونن من المرجومين﴾ وقوله: ﴿إني لعملكم من القالين﴾ وقوله تعالى في غيرها: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ وكذلك: ﴿درنا نكن من القاعدين﴾ وأمثاله كثيرة والسر في ذلك والله أعلم أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة، وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع، فإنه يفهم أمراً زائداً على وقوعه، وهو أن الصفة المنكورة كالسمة لموصوف ثابتة العلوقة به كأنها لقب، وكأنه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السمات الربئية، =

قَالَ رَبِّيَ اعْلَمُ يَمَا مَمَّوُونَ ﴿٧٧﴾.

﴿ربِّي اعلم بما تعملون﴾ يريد: أن الله اعلم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب، فإن أراد أن يعاقبكم بإسقاط كسف من السماء فعل وإن أراد عقاباً آخر فإليه الحكم والمشئبة.

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ بَوِيرٌ أَلْطَلُؤُا إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴿٧٨﴾  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْ أَعْرَبٌ  
الْقَرِيبُ ﴿٨٠﴾.

﴿فأخذهم﴾ الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة إن أرادوا بالسماء السحاب وإن أرادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم، يروى أنه حبس عنهم الريح سبباً وسلط عليهم الومد فأخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب، فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فاضلقتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نازراً فاحترقوا، وروى أن شعيباً بعث إلى أمتين: أصحاب مدين وأصحاب الأيكة، فاهلكت مدين بصيحة جبريل وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة.

فَإِن قُلْتُمْ: كيف كزر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كزر؟ قُلْتُمْ: كل قصة منها كتزليل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدلى بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبها، وأن تختتم بما اختتمت به ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتها لها في الصدور ألا ترى أنه لا طزريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ولأن هذه القصص طرقت بها أذان وقر عن الإنصات للحق وقلوب غلف عن تبره فكثرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير لعل تلك يفتح أذننا أو يفتق ذهننا أو يصقل عقلاً طال عهده بالصقل، أو يجلو فهماً قد غطى عليه تراكم الصدا.

وَلَهُمْ نَزِيلٌ رَبِّيَ الْآلَمِينَ ﴿٨١﴾.

﴿وإنه﴾ وإن هذا التزليل يعني: ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد: ﴿بالنزيل﴾ المنزل.

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٨٢﴾.

والبإاء في ﴿نزل به الروح﴾ ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى: ﴿نزل به الروح﴾: جعل الله الروح نازلاً ﴿به على قلبك﴾ أي: حفظه وفهمك إياه وأثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾<sup>(١)</sup>.

عَلَّ قَلْبَكَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُتَذِقِينَ ﴿٨٣﴾ يَلْسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٨٤﴾.

بالواجب الذي هو الإيفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف، ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الأمر والنهي دليل على أنه إن فعله فقد أحسن وإن لم يفعله فلا عليه.

وَرَبُّوهُ بِالْقِسْطِ أُنْتَفِخِمْ ﴿٨٥﴾.

قريء: ﴿بالقسطاس﴾ مضمومًا ومكسورًا وهو الميزان وقيل: القرسطون فإن كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي وقيل: وهو بالرومية العدل.

وَلَا تَبْخَسُوا أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُقْتَدِرِينَ ﴿٨٦﴾.

يقال: بخسته حقه إذا نقصته إياه ومنه قيل للمكس: البخس وهو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكة ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفاً شرعياً، يقال: عثا في الأرض وعثى وعاث ونلك نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك.

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْزُكْرَىٰ وَإِن كُنْتَ لَتَكْفُرُ بِهِ  
الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٧﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نُّنْفُكُ لَبَيْنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨٨﴾.

قريء: ﴿الجبلية﴾ بوزن الأبله والجبلية بوزن الخلقة ومعناها واحد أي: نوي الجبلية وهو كقولك: والخلق الأولين.

فَإِن قُلْتُمْ: هل اختلف المعنى بإدخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود! قُلْتُمْ: إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيين كلاهما مناف للرسالة عندهم: التسخير والبشرية، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ولا يجوز أن يكون بشراً وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً، ثم قرر بكونه بشراً مثلمهم.

فَإِن قُلْتُمْ: إن المخففة من الثقيلة ولأما كيف تفرقتنا على فعل الظن وثاني مفعوليه؟ قُلْتُمْ: أصلهما أن يتفرقا على المبتدأ والخبر كقولك: إن زيد لمنطلق فلما كان البابان أعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدأ والخبر فعل ذلك في البابين فقيل: إن كان زيد لمنطلقاً وإن ظننته لمنطلقاً.

فَأَسْبِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨٩﴾.

قريء: ﴿كسفا﴾ بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل: الكسف والكسفة كالريبع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب أو المظلة، وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب، ولو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما أخطروه ببالهم فضلاً أن يطلبوه، والمعنى: إن كنت صادقاً أنك نبي فادع الله أن يسقط علينا كسفاً من السماء.

﴿بلسان عربي﴾ إما أن يتعلق بالمنذرين، فيكون المعنى: لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وإما أن يتعلق بنزل فيكون المعنى: نزله باللسان العربي لتتذرع به؛ لأنه لو نزل باللسان الأعجمي لتجافوا عنه أصلاً، ولقالوا: ما نضع بما لا نفهمه<sup>(1)</sup> فيتعذر الإنذار به وفي هذا الوجه أن تنزله بالعربية التي هي لسانك، ولسان قومك تنزيل له على قلبك؛ لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها، وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات فإذا كلم بلغته التي لاقها أولاً ونشأ عليها وتطبع بها، لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وإن كلم بغير تلك اللغة، وإن كان ماهراً بمعرفتها كان نظره أولاً في الفاظها، ثم في معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين.

وَأَنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤٧﴾

﴿وإنه﴾ وإن القرآن يعني: نكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل: إن معانيه فيها وبه يحتج لأبي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل: ﴿وإنه لفي زبور الأولين﴾ لكون معانيه فيها وقيل: الضمير لرسول الله ﷺ، وكذلك في أن يعلمه وليس بواضح.

أَوَّلَ بَنِي كَنْعَانَ أَن يَكْفُرُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا فِي سَكِينَةٍ مِّنْ قَبْلِ

وقرئ: ﴿يكن﴾ بالتنكير وآية بالنصب على أنها خبره، ﴿وأن يعلمه﴾ هو الاسم، وقرئ: ﴿تكن﴾ بالتانيث وجعلت آية اسماً وأن يعلمه خبراً وليست كالأولى لوقوع النكرة اسماً والمعرفة خبراً، وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في ﴿تكن﴾: ضمير القصة وآية أن يعلمه: جملة واقعة موقع الخبر، ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلاً عن آية ويجوز مع نصب الآية تانيث ﴿تكن﴾ كقوله تعالى: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾<sup>(2)</sup> إلا أن قالوا: ومنه بيت لبببب فمضى وقدمها وكانت عادة، منه إذا هي عردت أقدامها، وقرئ: ﴿تعلمه﴾ بالياء و﴿علماء بني إسرائيل﴾ عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى: ﴿وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾<sup>(3)</sup>.

فإن قُلْتُ: كيف خط في المصحف. ﴿علماء﴾ بواو قبل

الألف؟ قُلْتُ: خط على لغة من يميل الألف إلى الواو، وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة والزكاة والربا.

وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٤٨﴾

الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والأعجمي مثله إلا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تأكيد، وقرأ الحسن: ﴿الأعجميين﴾ ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له: أعجم وأعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين، وقالوا: لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم. قال حميد: ولا عربياً شاقه صوت أعجماً، سلكتناه: أدخلناه ومكانه، والمعنى: إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين، فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله، وانظم إلى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم، وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعراً تارة وسحراً أخرى، وقالوا: هو من تلفيق محمد وافتراءه ﴿ولو نزلناه على بعض﴾ الأعجم الذي لا يحسن العربية فضلاً أن يقدر على نظم مثله.

فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿فقرأه عليهم﴾ هكذا فصيحاً معجزاً متحدى به لكفروا به كما كفروا، ولتمحلوا لجحدوهم عذراً ولسموه سحراً.

كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ النَّبِيِّينَ ﴿١٥٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا

الْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٥١﴾

ثم قال: ﴿كذلك سلكناه﴾ أي: مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكانه وقرآناه فيها وعلى هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعنا فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره، كما قال: ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾.

فإن قُلْتُ<sup>(4)</sup>: كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته؟ قُلْتُ: أراد به الدلالة على تمكنه مكذباً في قلوبهم أشدّ التمكن وأثبتته، فجعله بمنزلة أمر قد جبوا عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم: هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه؛ لأنّ الأمور الخلقية أثبت من العارضة، والدليل عليه أنه

(3) سورة القصص، الآية: 53.

(4) قال أحمد: وما يقم من بقائه على ظاهره، إلا أنه التوحيد المحض والإيمان الصرف، وأن الله تعالى خلق قلوبهم نائية عن قبول الحق، والقدرية لا يبغفون في التوحيد إلى هذا الحد، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(1) قال أحمد: يعني بقوله: قدر عليهم أنهم لا يؤمنون علم أنهم لا يؤمنون؛ لأنّ التقدير عنده العلم، والحق أن الله تعالى أراد منهم أنهم لا يؤمنون، وهذا تقرير لجواب عن سؤال مقدر، وهو أن يقال: قلوبهم نائية عن قبول الحق لا يلجها بوجه ولا بسبب، فكيف يسلك الحق فيها؟ فيجاب عنه بهذا الجواب، والله أعلم.

(2) سورة الانعام، الآية: 23.

مهران: أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه، فقال له: عظني فلم يزد على تلاوة هذه الآية فقال ميمون: لقد وعظت فأبلغت.

مَا أَفَقَّ عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَمِعُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيْبٍ إِلَّا مَا مُزِدُّونَ ﴿٢٨﴾ وَذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾.

وقرئ: ﴿يَمْتَعُونَ﴾ بالتخفيف ﴿منذرون﴾ رسل ينذرونهم ﴿ذكرى﴾ منصوبة بمعنى تنكرة إما لأن أنذر ونكر متقاربان فكأنه قيل: منكرون تنكرة وإما لأنها حال من الضمير في منذرون أي: ينذرونهم نوي تنكرة وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة، والتنكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه نكرو والجمله اعتراضية أو صفة بمعنى: منذرون نورو نكرو، أو جعلوا نكرو لإمعانهم في التنكرة وإطنابهم فيها ووجه آخر وهو أن يكون نكرو متعلقة بأهلكتنا مفعولاً له، والمعنى: وما أهلكتنا من أهل قرية ظالمين إلا بعدما الزمانهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تنكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم ﴿وما كنا ظالمين﴾ فنهلك قوماً غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول.

فإن قُلْتَ: كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا، ولم تعزل عنها في قوله: ﴿وما أهلكتنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾<sup>(1)</sup>؛ قُلْتَ: لأصل عزل الواو؛ لأن الجملة صفة لقرية وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله: ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾.

وَمَا نَزَكَ بِهَ الشَّيْطَانُ ﴿٣٠﴾ وَمَا يَبْنِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣١﴾ إِهْتَرَّ عَنِ السَّبْعِ لَمَزُورُونَ ﴿٣٢﴾ فَلَا تَنَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكَرَّرُ مِنْ أَلْمَعْدِينَ ﴿٣٣﴾.

كانوا يقولون: إنَّ محمداً كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدر عليهم لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء، وقرأ الحسن: الشياطين ووجهه أنه رأى آخره كأخر يبرين وفلسطين، فتخيّر بين أن يجرى الإعراب على النون وبين أن يجره على ما قبله فيقول: الشياطين والشياطين كما تخيرت العرب بين أن يقولوا: هذه يبرون، ويبرين وفلسطين وفلسطين وحقه أن تستثني من الشيطونة وهي: الهلاك كما قيل له: الباطل وعن الفراء: غلط الشيخ في قراءته الشياطين ظلَّ أنها النون التي على هجائين، فقال النصر بن شمير إن جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤية، فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يبريد: محمد بن السميغ مع أنا نعلم أنهما لم يقرأ به إلا وقد سمعا فيه.

أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه. وهو قوله: لا يؤمنون به. فإن قُلْتَ: ما موقع ﴿لا يؤمنون به﴾ من قوله: ﴿سلكتناه في قلوب المجرمين﴾ قُلْتَ: موقعه منه موقع الموضح والملخص؛ لأنه مسوق لثباته مكنباً مجحوداً في قلوبهم فاتبع ما يقرّر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكنيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالاً أي: سلكتناه فيها غير مؤمن به.

فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَيَقُولُوا هَلْ عَنَّا مُنْظَرُونَ ﴿٣٥﴾.

وقرأ الحسن ﴿فئاتيهم﴾ بالتاء يعني: الساعة و ﴿بغتة﴾ بالتحريك وفي حرف أبي: ويروه بغتة.

فإن قُلْتَ: ما معنى التعقيب في قوله: ﴿فئاتيهم بغتة﴾ فيقولوا: قُلْتَ: ليس المعنى: ترانف رؤية العذاب ومفاجاته وسؤال النظرة فيه في الوجود، وإنما المعنى: ترتبها في الشدة؛ لأنه قيل: لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب بما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة، فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه: إن أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين، وإنما قصدك إلى ترتب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى، ثم يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه.

أَفِيمَا بِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٣٦﴾.

﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ تبيكت لهم بإنكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفة عين، فلا يجاب إليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ، ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن فقال تعالى: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ أشراً وبطراً واستهزاءً واتكالاً على الأمل الطويل.

أَفَرِيْتِ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٣٧﴾ فَرَأَوْهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٣٨﴾.

ثم قال: هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم، فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معاشهم، وعن ميمون بن

قد علم أن ذلك لا يكون، ولكنه أراد أن يحرك منه لزيادة الإخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال، ولو تقول علينا بعض الأقاويل.

وَأَنْذِرْ عِبْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٣٦﴾

فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فيه وجهان أحدهما: أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبدء ثم بمن يليه، وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم كما روي عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال: «كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأول ما أضعه ربا العباس»<sup>(1)</sup> والثاني: أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقریب من العطف والرافة، ولا يحابيهم في الإنذار والتخويف وروي أنه صعد الصفا لما نزلت فنادى: الأقرب فالأقرب فخذاً فخذاً وقال: يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمه رسول الله إني لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم<sup>(2)</sup>، وروي أنه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن، فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال: «يا بني عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي» قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»<sup>(3)</sup> وروي أنه قال: «يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإنني لا أغني عنكم شيئاً» ثم قال: «يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد، ويا صفية عمه محمد اشتريتن أنفسكن من النار فإنني لا أغني عنكن شيئاً».

وَأَنْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّكَمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ عَصَاكَ فَقُلْ إِيَّايَ يَرْبُّوهُم مِمَّا كَفَلْتَهُمْ ﴿٣٨﴾

الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه، وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم: وأنت الشهير بخفض الجناح، فلا تك في رفعه أجداً ينهاه عن التكبر بعد التواضع.

فَإِنْ قُلْتَ: المتبعون للرسول هم المؤمنون، والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله: ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؟ قُلْتَ: فيه وجهان: أن يسميهم قبل الدخول في

الإيمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك، وأن يريد بالمؤمنين: المصنقين بألسنتهم وهم صنقان: صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه إلا التصديق فحسب، ثم إما أن يكونوا منافقين أو فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى: من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم، يعني: أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاحفض لهم جناحك، وإن عصوك ولم يتبعوك فتبأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره.

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٣٧﴾

﴿وتوكل﴾ على الله يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم، والتوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وقالوا: المتوكل من إن دمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة، ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل؛ لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله، وفي مصاحف أهل المدينة والشام: فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان في العطف أن يعطف على فقل، أو فلا تدع ﴿على العزيز الرحيم﴾ على الذي يقهر أعداك بعزته وينصرك عليهم برحمته.

الَّذِي يَرْبُّكَ مِنْ قَوْمٍ ﴿٣٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٣٩﴾

ثم اتبع كونه رحيماً على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو نكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح أحوال المتجهدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون، ويستبطن سر أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لأخرتهم كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دبنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين: المصلون.

وقيل: معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين: تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمهم، وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله: هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن؟ فقال: لا يحضرني فتلا له هذه الآية، ويحتمل أنه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية أمور الدين.

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الذِّكْرَ ﴿٤١﴾

(3) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، سورة الشعراء، باب: «وأنذر عشيرتكم الأقربين» (الحديث: 4770) ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى «وأنذر عشيرتكم الأقربين» (الحديث: 355) - (208).

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ، الحديث (147) - (1218).

(2) أخرجه ابن حبان في كتاب: التاريخ، باب: تبليغه ﷺ وما لقي من قومه، (الحديث: 6551)، ومسلم في كتاب: الإيمان، باب: «وأنذر عشيرتكم الأقربين».

يحكى عن الجنى، وأكثرهم مفتر عليه.

**فإن قُلْتَ:** وإنه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن أخوات! **قُلْتُ:** أريد التفريق بينهن بآيات ليست في معانها ليرجع إلى المعجى بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرامة بعد كرامة فيدل بذلك على أن المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها، ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد نكره ولا ينفك عن الرجوع إليه.

**وَأَشْرَعَهُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ (١٢٤)**

**والشعراء:** مبتدأ **ويتبعهم الغاؤون:** خبره، ومعناه: أنه لا يتبعهم على باطلهم وكنبيهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الاعراض والقدح في الأنساب، والنسيب بالخرم والغزل والابتهاج ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن نك منهن ولا يطرب على قولهم: إلا الغاؤون والسفهاء والشطار وقيل: الغاؤون الراؤون وقيل: الشياطين وقيل: هم شعراء قريش: عبد الله بن الزبيرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف: أمية بن أبي الصلت قالوا: نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد: كان الغالب عليه حبّ النصب، **قرا:** **جمالة الحطب:** **والسارق والسارقة:** **سورة أنزلناها:** **وقرى:** **ويتبعهم:** على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيهاً لاتباعه بعض.

**أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (١٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (١٢٦)**

نكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حدّ القصد فيه، حتى يفضلوا أجبن الناس على عنتره وأشجعهم على حاتم وأن ييهتوا البري ويفسقوا التقى وعن الفرزق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله:

بتن بجانبى مصرعات وبنا انض اغلاق السخنام فقال: قد وجب عليك الحدّ فقال: يا امير المؤمنين قد درأ الله عني الحدّ بقوله: **«وانهم يقولون ما لا يفعلون»**.

**«إنه هو السميع»** لما تقوله: **«العليم»** بما تنويه وتعمله وقيل: هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله **«آتوا الركوع والسجود فوالله إنى لأراكم من خلف ظهري إذا ركعتم وسجدتم»** (١)، **وقرى:** ويقلبك.

**نَزَّلَ عَلٰى كُلِّ أَنَاةٍ أَلْمِيزًا (١٢٧)**

**«كل أفاك أئيم»** هم الكهنة والمتنبئة كشقّ وسطيح ومسيلمة وطليحة.

**يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كُذُوبًا (١٢٨)**

**«يلقون السمع»** هم: الشياطين كانوا قبل أن يجبوأ بالرجم يسمعون إلى الملا الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب، ثم يوحون به إلى أوليائهم من أولئك **«واكثرهم كاذبون»** فيما يوجون به إليهم؛ لأنهم يسمعونهم ما لم يسمعوا، وقيل: يلقون إلى أوليائهم السمع أي: المسموع من الملائكة، وقيل: الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم إليهم أو يلقون المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثر الأفاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم، وترى أكثر ما يحكمين به باطلاً وزوراً وفي الحديث الكلمة يتخطفها الجنى فيقرها في أنن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة (٢) **والقر:** الصب.

**فإن قُلْتَ:** كيف دخل حرف الجرّ على من المتضمنة لمعنى الاستفهام، والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى إلى قولك: أعلى زيد مررت ولا تقول: على أزيد مررت! **قُلْتُ:** ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معاً: معنى الاسم ومعنى الحرف وإنما معناه: أن الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمرّ الاستعمال على حذفه كما حذف من هل، والأصل أهل قال، أهل راونا بسفح القاع ذي الاكم فإذا أدخلت حرف الجرّ على من فقدر الهمزة قبل حرف الجرّ في ضميرك كأنك تقول: أعلى من تنزل الشياطين كقولك: أعلى زيد مررت.

**فإن قُلْتَ:** **«يلقون»** ما محله: **قُلْتُ:** يجوز أن يكون في محل النصب على الحال أي: تنزل ملقين السمع وفي محل الجرّ صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كان قائلاً قال: لم تنزل على الأفاكين فقيل: يفعلون كيت وكيت.

**فإن قُلْتَ:** كيف قيل: **«واكثرهم كاذبون»** بعد ما قضي عليهم أن كل واحد سنهم أفاك؟ **قُلْتُ:** الأفاكون: هم الذين يكثرون الإفك ولا يدل نك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قلّ من يصدق منهم فيما

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان والننور، (الحديث: 6644)، وأخرجه مسلم في كتاب: الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود، الحديث: (112 - 426).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق... (الحديث: 7561)، ومسلم في كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، الحديث: (122 - 2228).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة النمل مكية

طَسَّ يَتَكَّمُ أَيَّتْ فَكَّرَ وَأَيَّتْ كَتَبَ ثَبِينٌ ﴿٦﴾

﴿طس﴾ قرئ بالتفخيم والإمالة و﴿تلك﴾ إشارة إلى آيات السورة، والكتاب المبين: إما اللوح وإبانتة أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه إبانة وإما السورة، وإما القرآن وإبانتتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وأن إعجازهما ظاهر مكشوف وإضافة الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف إلى العظيم يعظم؛ بالإضافة إليه.

فإن قُلْتُ: لم نكر الكتاب المبين؟ قُلْتُ: ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله تعالى: ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ (7).

فإن قُلْتُ: ما وجه عطفه على القرآن إذا أريد به القرآن؟ قُلْتُ: كما يعطف إحدى الصفتين على الأخرى في نحو قولك: هذا فعل السخي والجواد الكريم؛ لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح، فكانه قيل: تلك الآيات آيات المنزل المبارك أي كتاب مبين وقرأ ابن أبي عمير: وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

فإن قُلْتُ: ما الفرق بين هذا وبين قوله: ﴿ألم تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ (8)؛ قُلْتُ: لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين: ضرب جار مجرى التثنية لا يرجع فيه جانب على جانب، وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله تعالى: وقولوا حطة وانخلوا الباب سجداً ومنه ما نحن بصنده والثاني نحو قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾ (9).

هُدًى وَبَشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾

﴿هدى وبشري﴾ في محل النصب أو الرفع، فالنصب على الحال أي: هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة والرفع على ثلاثة أوجه: على هي هدى

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَدْرٍ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٦٧﴾

استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة، ومدح رسول الله ﷺ والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلخون فيها بنصب، ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاءهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ (1)، وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (2)، وعن عمر بن عبيد: أن رجلاً من العلوية قال له: إن صدري لي جيش بالشعر فقال: فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه: أن الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل: المراد بالمستثنين: عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان: كعب بن مالك وكعب بن زهير، والذين كانوا ينافحون عن رسول الله ﷺ ويكافحون هجة قريش، وعن كعب بن مالك: أن النبي ﷺ قال له: «أهجم فولذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبيل» (3) وكان يقول لحسان: قل وروح القدس معك (4)، ختم السورة بأية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول ولا أنكى لقلوب المتأملين، ولا أصدع لأكباد المتدبرين وذلك قوله: ﴿وسيعلم﴾ وما فيه من الوعيد البليغ وقوله: ﴿الذين ظلموا﴾ وإطلاقه وقوله: ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ وإبهامه وقد تلاها أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه (5) وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتنازرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل، ولأن تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس: أي منقلت ينقلتون، ومعناها: إن الذين ظلموا يطمعون أن ينقلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو: النجاة. اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله أعلم بالصواب. قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكتب به وهود وشعيب وصالح وإبراهيم وبعدد من كتب يعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام» (6).

(1) سورة النساء، الآية: 148.

(2) سورة البقرة، الآية: 194.

(3) أخرجه عبد الرزاق 263/11، (الحديث: 20500)، وأخرجه الترمذي في كتاب: الأدب، باب: ما جاء في إنشاد الشعر، (الحديث: 2847).

(4) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، الحديث: (3212 و3213)، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت، الحديث: (151 - 2485).

(5) أبو حاتم وابن سعد في الطبقات، الزيلعي 481/2 - 482.

(6) نكرة الثعلبي وابن مردويه والواحد في التفسير، الزيلعي 2/483.

(7) سورة القمر، الآية: 55.

(8) سورة الحجر، الآية: 1.

(9) سورة آل عمران، الآية: 18.